التفسير بالرأي

السيد مساعد مسلم آل جعفر
قسم الدين

التفسير :ـ

تفعيل من الفسر ، وهو الكشف والبيان • ويقال هو مقلوب السفر ، فقولك اسفر الصبح : اذا اضاء او مأخوذ من تفسرة الطبيب : وهى ما يفحص بها المريض •

وهو في الاصطلاح : اكثر استعماله في الالفاظ من حيث معانيها الحقيقية ـ او المجازية •

وقد عرفه العلماء بتعاريف مختلفة ، منها : (كشف معانى القرآن الكريم وبيان المراد منها [١] ، ومنها ايضا : (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)[٢] ، وكذلك هو علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها والاشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها وناسخها ومنسوخها وخاصة وعامها ومجملها ومفسرها[٣] •

والتفسير بهذا المعنى يختلف عن التأويل لان هذا :ـ

من الأول اى الرجوع ، او من الايالة اى السياسة ، يقال اول الكلام اى ساسه ووضع المعنى في موضعه •

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ص ١٥٣ ج ٢ •
(٢) تفسير الآلوسى ج ١ ص ٤
(٣) تفسير الآلوسى ص ٤ ج ١ والبحر المحيط ص ١٠ ج ١

وفي لأصطلاح : اكثر استعماله في الجمل وترجيح احد المحتملات بدون القطع في معانيها ، وهو حقيقة المراد • لان اللفظ يخبر ويكشف عن حقيقة المراد •

وعرف التأويل ايضا بأنه : (ابداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه) (٤) •

والعلاقة بين المعنى اللغوى والتعريف ان اللفظ أرجع الى مدلوله الاصلى او سيس اللفظ وبين المراد منه •

والفرق بين التفسير والتأويل ، هو : ان التفسير هو القطع وبيان ان المراد من اللفظ كذا • بينما التأويل هو عبارة عن ذكر معنى متبادر الى الذهن من النص من غير قطع بانه المراد وليس غيره •

قال الآلوسى : (وعندى انه ان كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الاقوال فيه ماسمعتها وما لم اسمعها مخالفة للعرف اليوم ، اذ قد تعارف من غير نكير ان التأويل اشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين والتفسير غير ذلك) (٥) •

والواقع ان العرف العلمي الجاري الآن هو : ان التفسير والتأويل بمعنى واحد ذلك لاننا نسمى (التفاسير) جميع الكتب التى تتعرض للقرآن الكريم بتفسير لفظ او تأويل معنى • وكذا سماها كثير من مؤلفيها حتى التى فسرت بالرأى الذى يحيل وجوها عدة محتلة بمعانى مختلفة لنص واحد ، وعلى هذا الأساس تعرضنا لكلمة تأويل في كلامنا عن التفسير بالرأى •

---

(٤) تفسير القرطبى ص ١٥ ج ١
(٥) تفسير الآلوسى ص ٥ ج ١

تعريف الراى :

اما الرأى في اللغة (فقد جاء في مادة الرأى مع الواو والياء : (الروية) ادراك المرئى وذلك اضرب بحسب قوى النفس ، الاول بالعين التى هى الحاسة ... والرابع بالقلب الذى هو العقل ... واذا عدى بالى اقتضى معنى النظر المؤدى الى الاعتبار)[٦] .

ويطلق على الاعتقاد وعلى الاجتهاد وعلى القياس ومنه اصحاب الرأى اى اصحاب القياس وهنا يراد منه الاجتهاد .

والتفسير بالرأى : يدل على توضيح معانى القرآن الكريم بحسب وجهة نظر خاصة لاتعتمد على غير المعتقد والفكرة التى يحملها المفسر ، وهو عند العلماء يطلق على التفسير الذى لم يرد به نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤثر عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم اجمعين لا اجتهادا منهم ولا بنقلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا موقوفا ولا مرفوعا) . وذلك لان علماء القرآن اعتبروا ما نقل عن الصحابة ليس برأى وانما يعتبر من قبيل المأثور او المرفوع ، باعتبار ان الصحابة الكرام لم يجتهدوا الا بعد ان علموا اقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم او انهم اقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على رأيهم وما خالفهم فيه او صحح مفهومهم لها من المسائل التى لم يفتوا فيها ، هذا اولا واضاف العلماء على ذلك ان الصحابة شاهدوا التنزيل وعلموا جميع ظروف النص القرآنى وما اثر فيه او اخرجه عن حقيقته اللغوية الى اشياء اخرى وقد خالف هذه القاعدة بعض الحنابلة واعتبروا اجتهاد الصحابة كاجتهاد غيرهم .

مكانة الصحابة في التفسير وقدرتهم على فهم القرآن :

ان الصحابة الكرام هم اولو الفضل في نقل الشريعة الاسلامية وهم عدول في نقلهم وعلماؤهم خير من علماء غيرهم من الاجيال ، وفي القرآن

---

(٦) تاج العروس ص ١٤٠

الكريم ما لامجال للاجتهاد فيه كايآت النزول وتخصيص آيات الاحكام في حكم معين او حصره ، فهذا يتوقف على تبيان الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا اثر عنهم : علم انه مرفوعاً الى الرسول صلى الله عليه وسلم • واما فيما فيه مجال للاجتهاد فلا يعتبر اجتهادهم بحكم المرفوع وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم خص قسما منهم بعلوم معينة فقد صح عنه انه دعا لابن عباس رضى الله تعالى عنه ، وقال فيما رواه البخارى : افرض امتى زيد بن ثابت ، واعلمهم بالحلال والحرام أبى • وان الصحابة الكرام انفسهم كانوا يعلمون ان اقدرهم على فهم القرآن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ثم ابن عباس ثم الخلفاء الراشدون ثم عبدالله بن مسعود •

اقتضى ذلك ان يكون في الصحابة من لايستطيع التفسير والصحابة من ناحية الامانة والورع والصدق في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بالاسلام اكرم الناس وافضلهم لان الله سبحانه اختارهم لمجلس رسوله الكريم • والطعن في احدهم طعن في ذلك المجلس لان الذين لم يكونوا اهلا لحمل تلك الصفة قد اخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم من مجلسه • مما يدل ان جميع من مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض يعتبر اى طعن في عدالتهم طعنا في تعديل الرسول لهم وبالتالى طعن في الاسلام • لان تعديل الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تحميلهم جزء من الاسلام ولذا فان تفسيرهم يعتبر اكثر أهمية من غيره • ولكنهم لايأخذ المرفوع ولا يعتبر اعتماده شرعا كما يعتبر تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا هو ما اراه في المسألة والله يهدى للصواب •

والقرآن الكريم هو دستوا المسلمين والمنهج الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في خلق الجماعة المسلمة التى اصبحت جماعة مستقلة في جميع صفاتها عن الامم قبلها واستمرت تحمل شخصية ذات طابع خاص الى يومنا هذا • هذا الكتاب الكريم (نزل بلغة العرب وعلى اساليب

بلاغتهم فكانوا كلهم يفهونه ويعلمون معانيه من مفرداته وتراكيبه) [٧] ولذا لم ينقل عنهم انهم قالوا : لا نعرف هذا الكلام او لا نفهم معناه ، وانما نقل عنهم انه كان يؤثر بهم حتى اسلموا بمجرد سماعه في مكة • وقد كانت تلاوة القرآن الكريم على مسامع قريش من اقوى اساليب الدعوة فكان يأخذ البابهم ببلاغته وهم اهل البلاغة • وقد تحداهم بقوله : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله [٨] • وكان هو المعجزة الوحيدة التى خاطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم العرب واعجزهم بها •

ثم بعد ان تكونت الدولة الاسلامية في المدينة المنورة بعد الهجرة اخذ ينزل لكل ماتحتاجه تلك الحكومة من منهج عمل وقوانين خاصة وعامة واخذ المسلمون ينظمون الدولة وفق ماجاء في القرآن الكريم ويضبطون سلوكهم الخاص بمقتضاه فهو دينهم ودنياهم وبقى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بكل ما نزل وهم يتدارسونه ويفمهون ما فيه وان عرض مالم يفهموه سألوا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فأجابهم بسنته التى وضحت الكتاب كما امره الله بذلك (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين للناس ما نزل اليهم) [٩] •

فلما التحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى كان الصحابة على فهم تام بالقرآن واحيانا يذكر بعضهم البعض فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بخصوص آية من القرآن او كيفية تطبيق حكم من الاحكام التى وردت فيه اذ انهم حين تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتلقوه نصوصا جامدة ولكن كما قال ابو عبدالرحمن السلمى [١٠] (حدثنا الذين

---

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٨

(٨) سورة البقرة ٢٣

(٩) سورة النمل ٨٩

(١٠) هو عبدالله بن حبيب تابعى جليل تتلمذ على يد اميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلى ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما وغيرهما من اجلاء الصحابة

كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا العلم والعمل جميعا) (١١) وعلى هذا نرى تهافت قول كولد تسيهر (حتى عهد متقدم من القرن الثانى للهجرة نجد شواهد على ان الاشتغال بالتفكير كان منظورا اليه بعين الارتياب وان الوعى الجاد كان يتراجع دون مزاولة ذلك في مهابة ونفور)(١٢) وكثير من الكتاب المسلمين ذهبوا مذهب كولد تسهير حيث ان التفسير بالرأى كان محضورا في صدا الاسلام .

وان اقوى الادلة على تحرج الصحابة هو قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه : (اى ارض تقلنى واى سماء تضلنى وما ذا اصنع واين اذهب اذا انا قلت بالقرآن برائى) (١٣) .

وغيرها من النصوص التى وردت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره من الصحابة .

ولا يمكن أن تعتبر هذه النصوص حضر اللتفسير بالرأى أو ان ايراد المعنى المتبادر للذهن من النص القرآنى اذا احتيج اليه ممنوعا . وان هذه النصوص التى وردتنا كانت قد قبلت بمناسبات لم ترد نا تفاصيلها والمناسبة التى قيلت فيها فقلنا بناء على ذلك بمنع التفسير بالرأى أو الاجتهاد فى تفسير النصوص القرآنية .

فأن قلنا ذلك ونحن نعلم انه لم يرد بطريق صحيح يعول عليه عن الرسول صلى الله عليه وسلم الا شىء يسير فى تفسير القرآن ذكرها السيوطى فى صفحات معدودة فى الالتقان فمن أينا أخذنا تلك الاحكام

---

(١١) مقدمة في اصول التفسير ص ٧
(١٢) مذاهب التفسير الاسلامى ص ٧٣
(١٣) البرهان في علوم القرآن ص ١٤٧ ج ٢

والاستنباطات .. ؟ وأحسن مثال على جواز الاجتهاد فى النص :ـ (ما رواه الشعبى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : انه سؤل عن الكلالة ، فقال : أقول فيها برائي فأن يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئـــان منه ، الكلالة من لاولد له ولا والـــد أحياً (حين وفاته)[١٤] .

واذا كان كل علم يكون في بدايته بسيطا ثم ينمو ويحسب لكل كلمة حسابها فكذلك جرى على التفسير .

فقد كان المسلمون في صدر الاسلام يعرفون القرآن حق المعرفة وكل ما يجب عليهم فيه ، ثم في عهد الصحابة والتابعين لا يحتاجون لمثل التفاسير التي نحتاجها اليوم أو في الاجيال بعدهـم ولذا نرى التفاسير التي أثـرت عنهم : عبارة عن تفاسير لبعض الكلمات الغريبة والجمل المعقدة كما نـرى في التفسير المروى عن سفيان الثورى أو عن ابن عباس رضي الله عنهما أو غيرهما . ، ولم يكن هناك تفسير مطول يشمل جميع آيات القرآن الا في بداية القرن الرابع متمثلا بتفسير ابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ لانهم كانوا يفهمون كل ما يحتاجون من القرآن كما أسلفنا ، وما لم يفهموه سألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ففسره لهم وبينه وبعد عهد الصحابة : أي بعد ان ذهب الذين تلقوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم بفهم أخذ الناس يبحثون عن معاني كتاب الله فما وجدوه في أثر أخذوه وما لم يجدوا فيه شيئا اعملوا عقولهم وفسروا برأيهم بعد أن أستكملت لهم أدوات التفسير وتعلموا ما يؤثر عـلى النص من خـارجه وغـــير ذلك مما يساق له النص القرآني .

بعد ذلك وكنتيجة حتمية ظهرت مدرسة التفسير بالـرأي ولم يكن

---

(١٤) تفسير ابن كثير ص ٤٦٠ جـ ١

خروجا على الشريعة ولا هو (انشقاق على تفسير القرآن بالمأثور دون أن يحس ويقصد ممثلو هذا الانشقاق من القدماء أن يكون تفسيرهم حربا على الرواية والنقل وصدر ذلك من أهـل الرأي الاسلاميين عن اولئـك الذين يريدون أن يذهبوا مذهبا دينيا ينفي كل ما يخالف العقل)[١٥] . ولكن عبارة عن ظهور وتطور موضوع كان في بدايته بسيطا . أما بعد أن أستقل وأصبح قائما بذاته فأنهم قالـوا : ان التفسير في الرأي يجـب أن لا يكون (الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه)[١٦] أو (قوم أعتقدوا معان ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها)[١٧] .

أما الرأي الذي هو عماد العلم والذي يصبغ كل فن بصبغة صاحبـه ويظهر هوية صاحب كل بحث أو الذي يتحصل فيـه مضمون العلم فأنهم يعلمون حق العلم انه واجب وفرض .

سـبب الخلاف :

ان الاسباب التي سأذكرها أغلبها لاتؤدي الا الى اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد وهذا مما تجدر الاشارة اليه .

فلم يختلف الصحابة الكرام في تفسير القرآن كما أختلف المفسرون بعدهم خاصة في عصر التدوين في نهاية المائة الثانية وبداية المائة الثالثة وكان (الخلاف بين السلف في التفسـير قليلا وخلافهم في الاحـكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجـع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد)[١٨] .

وبعد أن انقضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم وجاء عصر التدوين

---

(١٥) مذاهب التفسير الاسلامى ص ١٢١
(١٦) البرهان في علوم القرآن ص ١٦٢ ج ٢
(١٧) الاتقان في علوم القرآن ص ١٧٥ ج ٢
(١٨) مقدمة في اصول التفسير ص ١٠

وعصر تطور العلوم واستكمالها ولجأ الناس الى الترف في جميع أسباب حياتهم التي أضفت على جميع العلوم ذلك الترف وأهم ما كان لديهم كتاب الله الذي أصبح بينهم وبين وقت نزوله ثمنا كافيا لان يصبح لفظه غريبا على أفهامهم ولغته تحتاج لمن يوضحها لهم خاصة بأختلاطهم بغير العربي واختلاط أفكارهم بالعلوم العالمية أو حصيلة الحضارات الانسانية القديمة •

والاختلاف في تفسيره يرجع الى سببين رئيسيين أحدهما ذاتي والآخر خارجي فالذاتي الذي يعود الى النص القرآني هو أن المعنى القرآني تتنازعه عوامل كثيرة منها ما هي داخلة في لفظه ومنها ما يرجع الى عوامل أخرى تخرج اللفظ عن معناه الدال عليه في اللغة •

ففي اللغة كثير من الالفاظ المشتركة التي تدل على كثير من المعاني وقد يحتمل أسلوب القرآن تلك المعاني جميعا كقوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[١٩] فكلمة يرجو لها (معان أربعة : يطمع ويعلم ويشك ويتيقن)[٢٠] •

واللفظ القرآني يحتمل منها معنيين على الاقل • وغير هذه الكلمات كثير جدا ناهيك من أن اللفظ أيضا تتنازعه الحقيقة العرفية والشرعية بالاضافة الى الوضع اللغوي •

أما ماهو خارج عن اللفظ فمنه النسخ وأسباب النزول ومناسبة الآية •

ثم السنة النبوية التي فسرت كثيراً من نصوص القرآن على غير ظاهرها أو وضعها اللغوي ومنها ما كان صحيحا في طريق نقله وما هو أضعف كل هذه العوامل تجعل تفسير القرآن يختلف من مفسر لآخر •

---

(١٩) سورة الكهف ١١١

(٢٠) الاضداد ص ١٦ (ابن القاسم الانبارى)

هذه الملابسات وغيرها جعلت تفسير القرآن يشرق ويغرب ويتباين حتى تبدو بعض التفاسير مناقضة لغيرها وهذا الاختلاف والتناقض وحرص المسلمين على فهم كتابهم وتفسيره ولدت هذه الثروة الفكرية والادبية والعلمية في جميع نواحي الحياة أفاد أكثرها الفكر الاسلامي وجزء منه يسير أصبح بابا يدخل منه الطاعنون ولكن الله عصم كتابه وحفظه من الضياع كما انه حفظ من شيوع ما يتنافر معه في العقيدة والاسلوب والهدف فالتي وجدت تكاد لا تذكر أمام ما قام دفاعا عن نصه ومعناه وأسلوبه •

اراء العلماء في التفسير بالرأى : ـ

المقصود من آرائهم هو تأييدهم له أو حظرهم أياه فلقد أنقسم العلماء الى قسمين رئيسيين هما المفسرون بالاثر والمفسرون بالرأي وكل من هذين الفريقين يدلل على صواب بالعقل والنقل •

وقبل الخوض بأدلة الفريقين وعرضها يجدر الاشارة الى انهما وجدا منذ أنزل القرآن الكريم وتفسيره • فمن الصحابة من لا يرى بمقدوره الخوض في تفسير القرآن من غير نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يرى في نفسه الكفائة التامة على تحمل هذه المسؤولية •

هذا جانب والجانب الأخر هو ان الخلاف بين الفريقين شكلي وافتراضي لا حض له من الواقع الا قليلا جدا لان أهل الرأي يعتمدون على الاثر ما وجدوا اليه سبيلا وأهل الاثر يبدون رأيهم فيما لا يجدون فيه أثراً ويوردون على صورة تلائم الاثر أو اجتهاد صحابي أو تابعي جليل ممن يعتمد عليه •

قوام راى الفريق الاول وادلتهم :

قوام رأيهم هو ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع القرآن الكريم لانه مكلف

بذلك وعلى هذا لا يجوز الاعتماد على غيره ويجب أن يعتمد على ما صح عنه فقط وعن الصحابة الكرام وقولهم بأقرار لهم من الرسول كما بينا ذلك ورأي أهل الاثر ان الصحابة يأخذ كلامهم في القرآن الكريم حكم المرفوع .

ومن أدلتهم على عدم جواز التفسير في الرأي ما يلي (ملخصة)[٢١]

١ ـ من القرآن الكريم : قال تعالى (حرمت عليكم .... وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)[٢٢] .

ولا يعلم أحد مراد الله الا من يوحى الله له مراده وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره الكلام في كلام الله عزوجل فالتفسير قول على الله بغير علم . وقال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)[٢٣] اسند الله البيان للرسول عليه الصلاة والسلام فأما أن يبين وأما أن يكون مقصراً ويستحيل أن يكون الرسول قد قصر في أداء الرسالة فيكون قد بين كل شيء وقال تعالى : (فأن تنازعتم في شيءٍ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[٢٤] فأذا كنا نرد كل ما نريد أن نعلمه ونتعلمه ونختلف فيه من الاحكام الى الرسول فهو اذن المكلف بتفسير كتاب الله الذى منه الاحكام .

فظاهر هذه الآيات مستدل أصحاب هذا الرأي على صواب ما ذهبوا اليه .

٢ ـ واحتجوا بالسنة النبوية المطهرة : (قال صلى الله عليه وسلم :

---

(٢١) التفسير والمفسرون ص ٢٦٢ والقرطبى ص ١٦ جـ ١ والالوسى ص ٥ جـ ١ والبرهان ص ١٤٧ جـ ٢ .
(٢٢) سورة النحل ٤٤
(٢٣) سورة الكهف ص ٤٤
(٢٤) سورة النساء ٥٨ .

من قال بالقرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[٢٥] . وهو واضح الدلالة .

٣ ـ كان الصحابة الكرام كما مر سابقا يتحرجون من القول بالقرآن برأيهم كما صحت بذلك الاخبار .

لم تكن هذه البراهين كافية لمنع التفسير بالرأي وخير دلالة على ضعفها هو مخالفة المحتجين بها لها لانهم فسروا الآيات التي احتجوا بها برأيهم اذ لم يصح شيء في تفسيرها بهذا الشكل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الحديث فأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يعتمد رأي معين ويؤمن به صاحبه مسبقا ثم يأتي بالقرآن يجبره على موافقته رأيه أو تفسر آيات القرآن وفق ما جاء به ذلك الرأي بتكلف وتحميل اللفظ غير ما يتحمله بوجوه غريبة وبعيدة .

وقد جاء في تفسير الآية الثالثة كما يلي : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله) اذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه أي أن أختلفتم أنتم وأولى الامر منكم في أمر من أمور دينكم فارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وقد أستدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة حجة عليهم كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تبارك وتعالى وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فأنه يدل على أن الاحكام ثلاثة : (ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس)[٢٦] . وقد أورد الطبري ـ الذي هو أقوى أصحاب هذا الرأي الذي يحضر التفسير بالرأي ـ باب سماه (ذكر بعض الاخبار التي رويت في الحظ على العلم بتفسير القرآن)[٢٧] وقال : (وان منه ما يعلم تفسيره (تأويله) كل ذي

---

(٢٥) سنن الترمذى باب التفسير والتفسير والمفسرون ص ١٦٠ جـ ١
(٢٦) تفسير ابى السعود ص ٣٦٥ جـ ١
(٢٧) تفسير الطبرى ص ٣٦ جـ ١

علم باللسان الذي نزل به القرآن الكريم ذلك اقامة أعرابه ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها)[٢٨] .

الفريق الثاني الذى يجيز التفسير بالرأى :

ان أصحاب هذا الرأي ردوا على أصحاب الرأي الاول أدلتهم ثم أوردوا ما أحتجوا به من براهين قالوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف أن يخبرنا بكل ما نزل من القرآن الكريم وقد فعل وانه شرح كل ما أحتاجه الصحابة الكرام آنذاك ولا يعقل أن يشرح لاصحابه نصوصا مفهومة لديهم لمجرد سماعهم لها ولكنا نحن أحتجنا الى البيان والتوضيح لبعدنا عن أصحاب الرسول زمنا وسلوكا وبناء فنحن لسنا مثلهم في اللغة ولا في السليقة ولا في صفاء الذهن من الافكار الغريبة فأحتجنا أشياء لم تكن لهم بها حاجة فأن وجدنا ذلك في تفسير دستورنا نجونا والا هلكنا وما كان الله مكلفا نفسا الا وسعها .

ثم ان الظن والتخمين طريق من طرق العلم فأن أصاب فيها فله أجران وان اخطأ ونيته الصواب والصدق وغايته الله فله أجر .

وتعطيل التفسير بالرأي تعطيل للاجتهاد وقد ورد بطريق صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أرسل معاذاً الى اليمن وقال له : (بم تحكم قال : بكتاب الله قال فأن لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فأن لم تجد قال اجتهد رأيي ولا الو (أقره الرسول وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله)[٢٩] .

وقد قال الغزالي (... وباطل قطعا أن يكون المراد به (حديث النهي عن التفسير بالرأي) ان لا تكلم أحد في القرآن الا بما سمع به لوجوده . أحدهما : انه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله

---

(٢٨) المصدر السابق

(٢٩) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٧٠

صلى الله عليه وسلم وسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن. فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا تقبل ويقال هذا تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني : ان الصحابة والمفسرون أختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من الرسول صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي)[٣٠] .

وللمجيزين أدلة نلخصها فيما يلي :ـ

١ ـ قال تعالى : (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)[٣١] أي يستخرجون ويستنتجون منه الاحكام والمعاني والتفسير وقال تعالى : (ليتدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب)[٣٢] وكثير من الآيات القرآنية التي تحث على التفكر والتدبر .

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٣٣] وقال عليه الصلاة والسلام : (ألا أخبركم بشيء ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم)[٣٤] .

٣ ـ قال عبدالله بن مسعود : اسألوني عن كتاب الله فوالله الذي لا اله الا هو مانزلت أية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت واين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم الله مني تناله المطايا لأتيته وقال أيضا : كان الرجل منا اذا تعلم

---

(٣٠) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٩٧
(٣١) سورة النساء ٨٢
(٣٢) ص ٢٩
(٣٣) البخارى في باب العلم وذكره صاحب البرهان ص ١٥٧ ج ٢
(٣٤) المصدر السابق

عشر آيات من كتاب الله لم يتجاوزهن حتى يعلم معناهن والعمل بهن فتعلمنا العلم والعمل جميعا)[٣٥] .

٤ ـ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس بقوله (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)[٣٦] ولو كان التفسير بالرأي محضورا لما كان لهذا الدعاء قيمة .

هذا وسبق ان قلنا ان الخلاف بينهم شكلي وكذلك لاصحاب الرأي بجواز التفسير بالرأي أن يقولوا ان التفسير بالرأي ضرورة من ضرورات المسلمين في هذا العصر وكل عصر ولو بطل لتعطل القرآن لانه لا يخلق من قدم وهو ضالة المسلمين في كل العصور للحكم بينهم .

والله أسأل أن يلهني الصواب في الرأي ويجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وينفعني بالقرآن ويجعله لي نوراً وهدى انه سميع مجيب الدعاء وسعت رحمته كل شيء .

مصادر البحث

١ ـ مقدمة في أصول التفسير ـ المطبعة السلفية طبع سنة ١٣٧٠ هـ ـ شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية توفي سنة ٧٢٨ هـ .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ـ دار أحياء الكتب العربية ـ عمادالدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي توفى سنة ٧٧٤ هـ .

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧ ـ لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن فرح الخزرجي الانصاري القرطبي توفى سنة ٦٧١ هـ .

---

(٣٥) مقدمة في اصول التفسير ص ٨

(٣٦) علوم القرآن لعبدالعظيم الغباش ص ٢٠

٤ ـ أحياء علوم الدين ـ مطبعة مصطفى الباب الحلبي ١٣٥٨ ـ ١٩٣٩ ـ الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي توفى سنة ٥٠٥ هـ •

٥ ـ التفسير والمفسرون ـ دار الكتب الحديثة ١٣٨١ ـ ١٩٦١ ـ الشيخ محمد حسين الذهبي •

٦ ـ مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية ـ عبدالرحمن بن خلدون توفى سنة ٧٧٩ هـ •

٧ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن العظيم ـ لابي سعود العمادي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح •

٩ ـ البرهان في علوم القرآن ـ دار أحياء الكتب العربية ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧ ـ بدرالدين محمد عبدالله الزركشتي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

١٠ـ الاتقان في علوم القرآن ـ مصطفى البابي الجلبي ١٣٧٠ ـ ١٩٥١ ـ جلال‌الدين السيوطي توفي سنة ٩١١ هـ •

١١ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ـ الطبعة المنبرية ـ لابي الفضل شهاب‌الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي توفى سنة ١٢٧٠ هـ •

١٢ـ مذاهب التفسير الاسلامي ـ مكتبة الخانجي بمصر ١٣٧٤ـ١٩٥٥ ـ كولد تسيهر ـ تعريب عبدالحليم النجار •

١٣ـ تفسير الطبري ـ أبي‌جعفر محمد ابن جرير الطبري •